استطلاع دولي: العراقي غاضب وخائف من عودة الاقتتال الداخلي

الحزن وقطع الأقمشة السوداء أصبحت علامة مسجلة لبغداد والكثير من المحافظات

اضطر "موفق" ان يغلق متجره في منطقة بغداد الجديدة بعد تراجع سوق "الحفلات "كان الشاب يجلس وراء مقود سيارة صفراء ويتذكر ليلة رأس السنة الاخيرة في عام ٢٠٠٧ حينما قام بتأجير فستان سهرة لإحدى زبائنه وكانت اشبه بمباراة الاعتزال موفق صاحب محل لتأجير بدلات الاعراس وفساتين السهرة وتزين السيارات وبيع مستلزمات الاعياد وحتى كان لهم عمل موسمي في صنع "كيكة الميلاد" يشير الى انه تحول لسائق سيارة اجرة بعد ان سادت مظاهر الحزن والملابس السوداء و"جوادر العزاء" في العامين ٢٠٠٦ و٢٠٠٧،ويضيف " تعرضت لتهديدات من قبل جماعات متطرفة باغلاق المحل ومن ثم تراجع الاقبال على الايجار للملابس وقلت الاعراس لم يعد هناك مكانا للفرح"!.

□ بغداد/ وائل نعمة

انهارت حياة العراقيين مع الانخفاض في معدلات الحياة

اجتماعيون: الظواهر النفسية تحت الأرض وستنفجر بعد الاستقرار السياسي

نفسيون: العراقي يعاني من أمراض "سوء التأقلم" واضطرابات نفسية

نواب: الحكومة ومجلس النواب أصبحا جزءاً من المشكلة وليس الحل

الحزن وقطع الاقمشة السوداء اصبحت علامة مسجلة لبغداد والكثير من محافظاتنا يافطات النعي لا تزال معلقة على الجدران على الرغم من سقوط لونها وتمزق بعضها ،وصور الشهداء ترتفع على الاعمدة وعلى سطوح بعض المنازل وحتى البنايات المدمرة والاخرى التي اصبحت اشبه بـ"المنخل " جراء تزاحم الاطلاقات النارية على جدرانها لا تزال موجودة الى اليوم شارع حيفا من بداية وزارة العدل المتروكة الى نهاية العمارات السكنية الشهيرة تثير الاحباط ورائحة البارود محسوسة! فضلا عن مناظر الازبال والشوارع المحفرة وانتشار المتسولين واطفال الشوارع كلها ترسم صورة مأساوية!

العراقيون يعانون!

من جانب اخر اصدرت مؤسسة غالوب لاستطلاع الرأي تقريرا تحدثت فيه عن ان بعد انسحاب القوات الاميركية من العراق، تنتاب اغلب العراقيين مشاعر سلبية في كل يوم، حيث ارتفعت نسبة العراقيين الذين يعتبرون ان حياتهم عبارة عن " معاناة " من ١٤٪ في تشرين الاول من عام ٢٠١٠ الى ٢٥٪ في ايلول ٢٠١١ . وهذا يخالف المشاعر الايجابية التي سادت بين ٢٠٠٨ و ٢٠١٠ . اما الـ٧٪ من العراقيين الذين يعتبرون حياتهم "مزدهرة" فقد جاءوا ضمن اقل المعدلات التي سجلها غولاب منذ ٢٠٠٨. ويصنف غالوب المشاركين بالاستطلاع على انهم " مزدهرين" و " معانين" حسبما يعتبرون انفسهم في حياتهم الحالية والمستقبلية على مقياس تصاعدي يبدأ من صفر الى ١٠ بناء على مقياس كانتريل .

نسبة العراقيين الذين يعانون في ٢٠١١ هي من بين اعلى النسب في مناطق الشرق الاوسط و شمال افريقيا ، والذين يزدهرون هم من بين ادنى النسب. النسبة المئوية الحالية للعراقيين الذين يعانون لازالت ادنى من نسبة ٣٠٪ التي سجلت في حزيران ٢٠٠٨ ، اي قبل وقت قصير من نهاية الاقتتال الطائفي في البلاد . مع ذلك، فان الارتفاع الاخير يأتي في وقت حرج مع انسحاب القوات الاميركية من البلاد ومع ازمة سياسية جديدة تهدد باعادة اشعال الصراع الطائفي .

"لا نريد الأرض.. الحل في السماء"

يقول خالد حنتوش استاذ علم الاجتماع في جامعة بغداد ان العراقيين يخافون من عودة الاقتتال الداخلي الذي حدث في عامي ٢٠٠٦ و٢٠٠٧،مضيفا " نحن مجتمع نعيش حالة ما بعد الصدمة وقد تسبب اضطرابات نفسية وعصبية تؤدي في بعض الاحيان الى حدوث حالات فقدان الذاكرة ".حنتوش يشدد على ان الاطفال هم الاكثر تاثرا بالحياة غير المستقرة وتزيد حالات العدوانية لدى الكثير منهم .والشباب ايضا لهم حصة الاسد في عدم الاستقرار ،حيث الشعور بالعبثية يرتفع الى معدلات مخيفة لا يستطيع من خلالها الشاب التخطيط للمستقبل،مؤكدا بان اغلبهم –الشباب– اعدم لديهم "التخيل" حتى في الدراسة لا يستطيعون ان يعرفوا ماذا سيقرأون او ماذا سيفعلون غدا؟! محذرا من انتشار المخدرات التي يعتقدها حنتوش ظاهرة منتشرة لكنها مختفية تحت الارض بسبب تصدر المشاكل الامنية والسياسية على واجهة الاحداث في البلاد ،مرجحا بروز هذه المشاكل بعد الاستقرار السياسي وتصبح ملفا ثقيلا واخطر من القضايا الامنية.ويؤشر استاذ الاجتماع على موضوع اخر يعتقد بانه يعود الى ضعف انتماء العراقي الى الارض بسبب فقدان الامل بالعيش بصورة كريمة وهادئة لذا ترتفع الطقوس الدينية ويتجه الفرد العراقي الى السماء لانه يريد ان يخرج من الحياة وهو حائزا على جائزة ما "ان لم تكن من الارض فلتكن من السماء".

واشار استاذ الاجتماع الى قلة فرص العمل والبطالة قد تزيد من معدلات تخلي الانسان عن واقعه والشعور بالاحباط، والجدير بالذكر ان العراق يضم اكثر من ثلاثة ملايين عاطل حسب تقديرات وزارة التخطيط ،ونسب الفقر في البلاد تصل الى ٢٣٪ حسب آخر تقرير صدر من بعثة الامم المتحدة الى العراق في شهر تشرين الثاني الماضي .

أمراض "سوء التأقلم"!

ويضيف تقرير "غالوب" : ان آخر الوحدات العسكرية الاميركية التي غادرت العراق ودخلت الكويت في ١٨ كانون الاول ،و بعد يوم واحد من الانسحاب وجهت حكومة العراق اتهاما لنائب الرئيس العراقي طارق الهاشمي تتهمه فيه بالاشراف على مجموعة ارهابية. بعد عدة ايام، ضربت سلسلة من التفجيرات مدينة بغداد، ما ادى الى مقتل ٦٩ شخصا . وفي الاسبوع الماضي استهدفت موجة من تفجيرات جديدة وخلفت اكثر من ٧٨ قتيلا، مما زاد من القلق حول الصراع الطائفي .

من جهته يؤكد الطبيب عزيز الزبيدي استشاري الامراض النفسية بان الحروب والمشاكل الاقتصادية والسياسية تخلف مشاكل نفسية اسماها بامراض "سوء التأقلم "،مضيفا : معدلات القلق واضطرابات المزاج والصدمة النفسية بعد الانفجارات بدأت ترتفع في البلاد ،لاسيما مع وجود انخفاض في تحقيق الخدمات والاصلاحات الادارية والسياسية. خطورة الاضطرابات النفسية الى ثلاثة اضعاف البالغ ، ويؤثر على الدراسة ومعدلات الالتحاق بالمدارس ،والجدير بالذكر ان البلاد وحسب احصائيات شبه رسمية تؤكد وجود مليون متسرب من الدراسة .

من جانب آخر يشدد الزبيدي على ان الشباب في العراق يعانون من الاضطرابات الجنسية وعدم الرغبة في الزواج بسبب تردي الاوضاع الاقتصادية وتزيد نسب الطلاق وحسب بيان صدر من مجلس القضاء الأعلى في وقت سابق فان دعاوى الطلاق لعام ٢٠٠٤ كانت ٢٨ ألفا و٦٨٩. ارتفعت إلى ٣٣ ألفا و٣٤٨ في ٢٠٠٥. ثم ارتفعت مجددا إلى ٣٥ ألفا و٦٢٧ في ٢٠٠٦. وارتفعت مجددا في العام إلى ٤١ ألفا و٥٣٦ حالة طلاق في ٢٠٠٧. وحققت نسبة الطلاق انخفاضا في الأشهر الأولى من العام ٢٠٠٨. إلا أنها عادت لترتفع في العام ٢٠٠٩ بواقع ٨٢٠ ألفا و٤٥٣ حالة طلاق،ولا توجد احصائيات احدث من ذلك التاريخ!والمرأة تعاني من اضطرابات بعد الولادة النفسية والتي يسببها الجو النفسي غير المستقر الذي ينعكس على نفسية النساء ويتخوفن من الحمل ،مؤكدا بان الكثير منهن يعانين من امراض شبيهة بالانفصام بعد الولادة قد تؤدي الى قتل الام لطفلها،واما الشيوخ فتكثر لديهم امراض الخرف وفقدان الذاكرة.

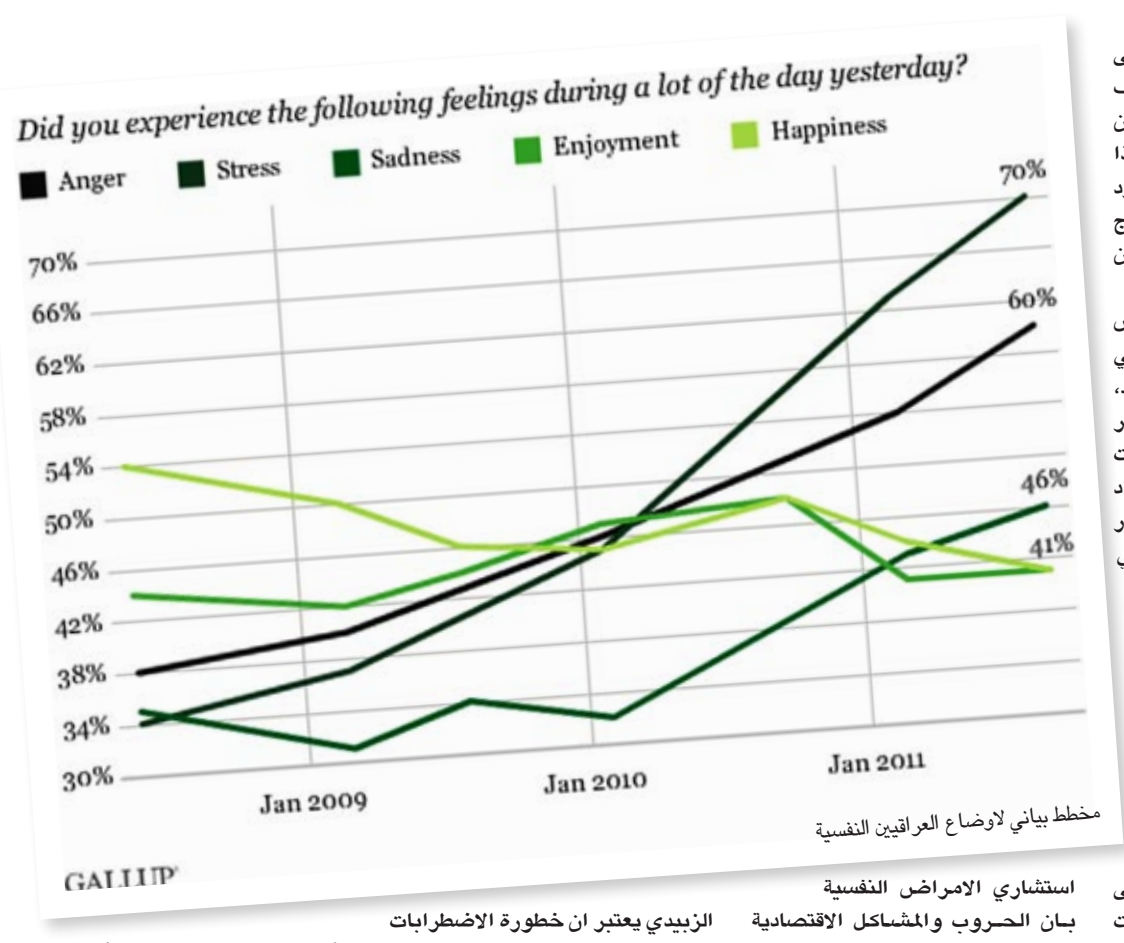

مخطط بياني لاوضاع العراقيين النفسية

انهيار حياة العراقيين!

ويستمر التقرير الدولي ليؤكد : انهارت حياة العراقيين مع الانخفاض في معدلات الحياة . سألت غالوب المشاركين عن المشاعر التي يشعرون بها خلال الفترة السابقة . تضاعفت نسبة العراقيين الذين يعانون من الشد من ٣٤٪ في ٢٠٠٨ الى ٧٠٪ في ايلول ٢٠١١ ، و ازدادت نسبة الذين يعانون من الغضب من ٣٨٪ الى ٦٠٪ لنفس الفترة . ومن المحتمل ان يقول العراقيون بانهم كانوا يشعرون بمشاعر سلبية مثل الحزن والشد والغضب في ايلول ٢٠١١ اكثر من ان يقولوا بانهم شعروا بالمتعة والسعادة. هذا الشعور استمر منذ ٢٠٠٨ عندما وجهت غولاب هذه الاسئلة اول مرة .

ويعترف الناشط المدني محمد السلامي بان الاثار النفسية لا تسببها الانفجارات والعمليات الارهابية وخطورة خروج الامريكان فقط والخوف من رجوع البلاد الى المربع الاول ،حيث يؤكد " الشارع العراقي مشحون بالازمات والعراقي يعاني من المساس بكرامته في السيطرات ومن قبل بعض الجهات الامنية التي تتعمد مضايقته "،ويرى ان الازدحامات وزيادة عدد السيارات التي حسب كلام السلامي تجاوزت الـ٣٤ الفا في عام ٢٠١١ حسب قول مديرية المرور العامة فاقمت المشكلة ،داعيا الحكومة الى الاخذ بنظر الاعتبار الازمات التي يعيشها المواطن وتؤثر على سلوكه النفسي والاجتماعي.

الشعور بالغضب

ويتابع التقرير :مع انخفاض نسب حياة العراقيين و تصاعد المشاعر السلبية، المطلوب من القادة العمل على استعادة تفاؤل الشعب وثقته. بالمقارنة عندما كانت نسبة المعاناة ٣٠٪ عام ٢٠٠٨ ، فهناك قوات امنية اقل في العراق، والعراقيون اكثر غضبا وتوترا. على صانعي السياسة مراقبة تغيّر المفاهيم العامة لغرض منع المزيد من العنف . فالشعب المتوتر الغاضب الذي تتدهور احواله المعيشية لا يمكنه تحقيق الاستقرار فيه. ومع صعوبة المقارنة، فان الاضطراب السياسي – الذي جاء بعد تصاعد المعاناة في افغانستان و ايران عام ٢٠١١ وفي مصر وتونس عام ٢٠١٠ – يوحي بان هذه المؤشرات الكمية لا يجوز تجاهلها .

من جانبها ترى عضو لجنة حقوق الانسان البرلمانية اشواق الجاف ان الاضطرابات النفسية وعدم الارتياح الذي يشعر فيه العراقي ليس ناتجا فقط عن خروج القوات الامريكية بل بسبب الاحباطات المتكررة والازمات السياسية.

النائبة عن التحالف الكردستاني تشدد على ان الحكومة والبرلمان اصبح جزءا من المشكلة وليس الحل،"كنا نتمنى بعد خروج القوات الامريكية ان تتكاتف الجهود وتقف بوجه الارهاب. ما حدث كان معكوسا وتوالت الازمات والخميس الدامي الاخير اشارة واضحة على استغلال الارهاب الازمات السياسية".الجاف ترى ان من واجب الحكومة ان تدرك حقيقة ما يعانيه المواطن العراقي وان نقص الخدمات والتصعيد السياسي سيصل بالبلاد الى ازمات اكبر.

وكان تقرير دولي صدر في وقت سابق اشار الى اكثر الشعوب سعادة تصدرت الدنمارك قائمة اسعد الشعوب في العالم، بينما جاء العراق في المركز ١١٠ وفى المسح الذي أجراه معهد غالوب ايضا ونشرته مجلة "فوربس" جاءت فنلندا فى المركز الثاني، بينما جاءت النرويج فى المركز الثالث.

واعتمد المسح على سؤال وجه لآلاف المواطنين فى ١٥٥ دولة حول العالم وهو "ما هو مدى الرضا العام عن حياتك؟" والإجابة يجب ان تكون ما بين ١ الى ١٠ ، كما اعتمد المسح على أسئلة تتعلق بالخبرة الحياتية للمواطن في هذه الدول ومدى شعوره بالاحترام والتقدير وسهولة الحياة .وجاءت المملكة العربية السعودية في المركز ٥٨ بينما جاءت دولة الإمارات فى المركز الـ٢٠.ومن المفارقات الغربية في قائمة اسعد شعوب العالم ان الولايات المتحدة جاءت في المركز الـ ١٤ بينما احتلت دولة كوستاريكا المركز السادس. واحتلت البرازيل المركز الـ ١٢، بينما جاءت الكويت في المركز الـ ٢٣.

الجدير بالذكر ان غالوب وهي منظمة تقدم الاستشارات الإدارية والموارد البشرية والبحوث الإحصائية، وتمتلك ما يقرب من ٤٠ مكتبا عبر دول العالم ويقع مقرها الرئيس في العاصمة واشنطن ويقع مقر العمليات في أوماها بولاية نبراسكا الأمريكية.

مدير التحرير | رئيس القسم | مسؤول الصفحة | القسم الفني | قسم التصحيح